

الابداع الثقافي للطبقة Creative class culture

Ulrike Gerhard , Heidelberg University, Germany

ترجمة أ.د. مضر خليل عمر

اصدرت جمعية الجغرافيين الامريكان AAG موسوعة اشترك في كتابتها مؤلفون مميزون وكتاب لهم مكاناتهم العلمية المرموقة . الموسوعة تحت عنوان : **الموسوعة العالمية للجغرافيا : السكان ، الارض ، البيئة و التقنية** .^(١) تكونت الموسوعة من (١٥) جزء ، وتم نشرها ورقيا والكترونيا . ويتم تحديث معلوماتها سنويا ، فهي المرجع الموثق والرسمي للجغرافيين ولعقود زمنية قادمة . وقد نشرت مقالات منها على شبكة الانترنت ومنها هذا المقال ، الذي ترجمته بتصرف مع التعليق والتعقيب بقصد الافادة والتوضيح .

يصف Richard Florida الابداع الثقافي للطبقة بدورة الفهم والاستيعاب و المعتقدات و القيم السائدة عند مجموعة مميزة من السكان الحضر حيث تنسم هذه المجموعة بحياة حضرية عصرية ، معبر عنها بارتياح مقاهي الارصفة و الانجذاب اليها ، والتبضع من الحوانيت الصغيرة وزيارة الاروقة الثقافية^(٢) . يمكن ان نجد هذا في الاحياء السكنية القديمة في مركز المدينة حيث يتم اعادة تطوير المساكن القديمة من قبل مجموعة من اغنياء المنطقة او مستثمرين حلوا مكان السكان الاصليين بعد تحويل الظهير الارضي والبنى التحتية فيها الى ما يروه مناسباً^(٣) . وفي الوقت الذي تعود ثقافة الطبقة وبعث الى محتويات الرأسمال الحضاري الا ان انماطها الاستهلاكية المحددة تبدو منحاذاة باتجاه مستوى حضارة الشارع حيث لا تفضل الانتاج الكبير بل تبحث عن الاشياء الاصلية والاماكن ذات النكهة الخاصة (مثل : المقاهي الصغيرة المستقلة عوضا عن مقاهي الاسواق والمحال التجارية الكبيرة ، محلات الاغذية الكبيرة) . وهذه الافضليات مصاحبة للحالات الاجتماعية – الاقتصادية العالية مع رغبة لتسديد اسعار عالية لخدمات بنوعية مفضلة و الشعور بالفردية والخصوصية^(٤) . فطرز الحياة ونوعية الترويج المطلوب يلعبان دورا مهما في تحفيز الابداع الثقافي لدى بعض افراد الطبقة . " عيش حياتك" مبدأ سائد ويشمل بشكل مكثف النوعية العالية والخبرة الواسعة و تفضيل الترويج الفعال على سلبيات الزمن الماضي (ممارسة الركض او تسلق الصخور وليس متابعة برامج التلفاز) . وعلى الرغم من هذه الخصائص فان الابداع الثقافي للطبقة هو اوسع من ذلك ، فهو وصف لطرز الحياة الحضرية التي يمكن ان توجد من خلال العولمة متممة بثورة الحضر كروح

^(١) المصدر : <http://www.aag.org/cs/encyclopedia>

The International Encyclopedia of Geography. Edited by Douglas Richardson, Noel Castree, Michael F. Goodchild, Audrey Kobayashi, Weidong Liu, and Richard A. Marston. © 2017 John Wiley & Sons, Ltd. Published 2017 by John Wiley & Sons, Ltd. DOI: 10.1002/9781118786352.wbie0168

^(٢) هذه من سمات مجتمع مركز المدينة في النصف الاول من القرن الماضي . فمقهي الطرف حيث التقاء الشباب لتبادل الاخبار والمعلومات وممارسة الهوايات وقضاء اوقات التسلية مع بعض . وكان الجيل وقتها محبا للثقافة والاطلاع وشغوبا بالفنون الاصلية . وكونها دورة يعني العودة الى ما كان عليه الحال في المرحلة الاولى .

^(٣) لكل شيء دورة حياة ، والمحلة (الجيرة السكنية) ليست مستثناة من ذلك واخر مراحلها هي الهدم واعداد التطوير ، وفي الغالب يتم تطويرها اما لأغراض تجارية او سكنية بمستوى معياري عالي .

^(٤) بقصد التمتع بإيجابيات الموقع المركزي و التسهيلات الخدمية المتوافرة فيه مع الاحتفاظ بامتيازات الطبقة ، على غير السائد بين الاقران من السكن في الاطراف الحضرية والضواحي والتمتع بالمولات وما يصاحبها من وسائل تسلية وترويج .

تقدمية (ديموغرافية ، مشاركة ، عصرية) وليس جديد على نظرية الحضرية طريقة حياة (°) . فالمدن تعمل كفضاء عالمي للتدفقات المختلفة ومنها تدفقات السكان (٦) . وحاليا تطلق تسميات على مجاميع سكانية اقتصادية – اجتماعية مسميات جديدة مثل Yuppies للشباب المهنيين الحضري ، و Bobos للبرجوازيين والبوهيميين ، او DINKS لذوي الدخل المضاعف وبدون اطفال (٧) . فمفهوم ابداع الثقافة يستقطب افضل ما في الطبقة كمؤسسة اجتماعية وتطورها وانتشار ذلك عبر العالم : صراع المدن للتنافس من اجل الاستثمار ، المترفين من السكان ، و التوجهات العالمية . فهو يركز على القيم الاقتصادية لمجاميع معينة من السكان ، حيث أن ليس جميع افراد الطبقة متتعمين ماديا ، ويقر ايضا بان اكثرية افراد الطبقة ليسوا مؤهلين للإبداع . لذا فان الابداع الثقافي هنا يؤدي الى تنمية غير متوازنة حضريا وحضاريا (٨) . يضاف الى ذلك فان المفهوم حيوي (دينامي) جدا وبالأصل يتسم بالفردية و التقدم و يوسم به الساكنين بدون اطفال ، حيث النضج العمري في دورة الحياة (٩) . ففي جغرافية الحضري و النظرية الاجتماعية لهذا المصطلح فائدة كبيرة عند تحليل الانطباعات الثقافية للتنمية الحضرية عند دراسة التحولات في مجتمع المعرفة .

تعقيب وتوضيح

(١) قد يتساءل البعض عن علاقة الجغرافيا بهذا الموضوع ، وفي أي فرع دقيق من تخصصات شجرة الجغرافيا الوارفة الضلال يرد ؟ انها المدينة ، بكل ما فيها من تنوع معماري وهندسي واقتصادي ، واجتماعي و حضاري وبيئي . بكل ما فيها من ايجابيات و سلبيات ، عوامل جذب و محددات و معوقات و عوامل طرد . انها احد ميادين الدراسة الجغرافية المهمة .

(٢) يقع الكثيرون في الخلط واللبس بين مصطلحات : الحضارة civilization والتحضرا | التمدن urbanism ، الحضارة المادية civil. و الثقافية culture ، وجميع هذه تضمها جغرافية المدن Geog. Towns & Cities التي اصبحت تعرف بجغرافية الحضري Urban Geog. بعد أن تم التركيز على مجتمع المدينة اكثر من بنائها العمراني .

(٣) فالحضارة يقصد بها اي مجتمع ذا تعقيد ويتسم بالتنمية الحضرية و الطبقة الاجتماعية المفروضة من قبل النخبة ممثلة بنظم التواصل (النظم المكتوبة مثلا) و تدرك بمعزل عن البيئة الطبيعية و سيادتها . <https://en.wikipedia.org/wiki/Civilization>

° (ممارسة الحياة الحضرية وفق منظور المجموعة وليس الطبقة ، وفق رؤية خاصة وليست السياق العام للطبقة . انها حضرية من نوع غير مألوف .

٦ (تدفقات النقل والاتصالات والافكار و الازياء والتقنيات وكل شيء جديد .

٧ (مجاميع لم تكن موجودة سابقا ، ولا تشكل كيانات مادية كما هي الجمعيات والنوادي ، بل منتديات و (كروبات) انتجتها تقنية الانترنت ، فهي افتراضية ولكن لها وجودها وفاعليتها ودورها في صياغة ثقافة وحضارة المجموعة .

٨ (مبان حديثة معاصرة بقرب تهرؤ عمراني ، مستوى حضاري عال بجوار تدني وتخلف . هذه كانت من صفات الحافات الريفية – الحضرية ، الان برزت في مركز المدينة .

٩ (ربطت الكثير من الدراسات الغربية بين دورة حياة الاسرة و مكان سكنها في المدينة (عزاب ، متزوجون بدون اطفال ، مع اطفال ، مع يافعين ، مسنين) ، و العديد منها اشارت الى عودة المسنين الى مركز المدينة ، الجديد هنا ان من يعود الى مركز المدينة قد ترفه ماديا وليس كما اشارت الدراسات السابقة . اضافة الى عودة فئات بمؤهلات مهنية عالية . وفي الواقع فان مركز المدينة يجذب التطرفين : الفقراء والاغنياء ، لكل منهم نصيب فيه ، خاصة وان المهن الراهنة تتطلب تأهيلا مهنيا عاليا و مكانا صغيرا لتعمل ، اضافة الى القرب من السوق .

(٤) وجغرافية الحضر هي فرع من الجغرافيا معني بدراسة المدن و عمليات التمدن الحاصلة فيها . وهي تبحث في مختلف معطيات الحياة الحضرية والبيئة المبنية . فالجامعيين و النشطاء و المسؤولين الرسميين يشتركون في دراسة و تقييم التدفقات الاقتصادية و الموارد الطبيعية و الاجسام البشرية و غير البشرية و انماط التنمية والبنى التحتية والنشاطات السياسية والمؤسسية ، الحوكمة ، تداعي وتجديد ، و مبادئ التوحيد و الاستبعاد المكاني – الاجتماعي و الحياة اليومية في المدينة .

https://en.wikipedia.org/wiki/Urban_geography

(٥) جغرافية الثقافة ، وهي فرع ضمن الجغرافيا البشرية ، تدرس منتجات الحضارة ومعاييرها وتباينها عبر المجال وعلاقتها بالأماكن . انها تركز على وصف وتحليل طرق تنوع اللغات ، الدين ، الاقتصاد ، الحوكمة ، وغيرها من الظواهر الحضارية من مكان الى اخر وتفسر كيفية ادائها للوظائف البشرية وتباينها مكانيا .

https://en.wikipedia.org/wiki/Category:Cultural_geography

(٦) من نماذج اعادة التطوير العمراني عمارات شارع حيفا في بغداد والتي وزعت لأساتذة الجامعات في منطقة شعبية ، مؤدية الى شيء من المشاكل اول الامر .

(٧) ومن نماذج اعادة التطوير الذاتية من قبل السكان الاصليين ما حدث في بغداد في منطقة السفينة وفي بعقوبة في حي السراي ، مع الحفاظ على الوحدة الاجتماعية . يدعونا هذا الى المطالبة باعتماد سياسة اعادة التطوير بدعم من السلطة عن طريق قروض بدون فائدة او حتى منح مالية حسب معايير متفق عليها .

(٨) دراسة المجموعة من مناهج الدراسة في الجغرافيا الاجتماعية ، ويعد تشكل مجموعة مميزة ضمن الطبقة و ممارساتها الخاصة بها بعيدا عن سياق الطبقة امر يستحق الدراسة . مثل هذه الظاهرة يدرسها المختصون بعلم الاجتماع و انعكاس العمليات الاجتماعية المشكلة للظاهرة على المكان ونتائجها هو ميدان دراسة الجغرافي . (مضر خليل العمر و محمد المومني ، جغرافية المشكلات الاجتماعية ، دار الكندي ، اربد ، ١٩٩٩) .

(٩) وعند دراسة التركيب الاجتماعي للمدينة يهتم الجغرافي بالمناطق الاجتماعية Social Areas و المناطق الطبيعية Physical Areas (المنعزلة لفئة او طبقة معينة) والاحياء الخاصة Ghetto ، كما يهتم بالثقافات الفرعية sub-culture التي تمتلكها المجاميع ضمن ثقافة المدينة وحضارتها واثرها على السلوك الجمعي وانعكاساته على المظهر الارضي للمدينة ، والتي تعرف بالمظهر الحضاري للأرض cultural landscape . وتعاني بغداد حاليا من تغير واضح في المظهر الحضاري الارضي نتيجة انتشار مجموعة معينة بثقافتها الفرعية واستغلالها غياب دور امانة بغداد .

ينظر ايضا Creative class; Cultural capital; Gentrification; Urban redevelopment; Urban uneven development

المراجع Florida, Richard. 2002. The Rise of the Creative Class. New York: Basic Books.

قراءات اخرى Zukin, Sharon. 2011. Naked City: Death and Life of Authentic Urban Places.

Oxford: Oxford University